

بسم الله الرحمن الرحيم
برنامج (حياة الشباب في صدر الإسلام)
الحلقة السادسة عشرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، مع جانب آخر من حياتهم واجتهادهم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، يبلغون دعوة الله ويسيرونها على نهج رسول الله ﷺ .

إن جهد النبي ﷺ في إعداد الشباب للدعوة أنتج جيلاً من الدعاة يحملون رسالته، ويدعون من بعده إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، متبعين منهجه في دعوته، داعين إلى الله على بصيرة، بالحكمة، والموعظة الحسنة، كما قال سبحانه: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ^(١).

إن مما شجع شباب صدر الإسلام في جدهم ونشاطهم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والبذل فيها في كل ميدان ، هو إدراكهم لفضل هذه الدعوة ، وما رتبته الله سبحانه وتعالى عليها من الأجر العظيم والثواب الجزيل ، كما في قوله سبحانه وتعالى (ومن أحسن قولاً مما دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) وفي فضل الدعوة قال عليه الصلاة والسلام : " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً " أخرجه مسلم .

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨ .

وإدراك هذا الفضل العظيم للدعوة إلى الله يجعل المسلم يجتهد في ذلك ، كيف وشباب صدر الإسلام هم أحرص الناس على الخير ، وأكثرهم رغبة فيما يقربهم إلى الله سبحانه وتعالى .

لذا فقد كان لشباب صدر الإسلام الذين حملوا الدعوة في حياته -عليه الصلاة والسلام- وبعد مماته مواقف مشهودة، ونتائج محمودة، لأنهم حملوا الدعوة على أتم وجوهها، وفي شتى ميادينها .

لقد كان أفراد شباب صدر الإسلام مدركين تماماً لمهمتهم في الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى- . ولم يكن فهمهم للدعوة مقصوراً على بضع كلمات تلقى على الأفراد والجماعات، بل الأمر أشمل من ذلك، فهم يعرفون تماماً أن حماية القائد وتسهيل مهمته من الأساسيات في العمل الدعوي، وخاصة أن قائدهم كان رسول الله ﷺ الذي بموته انقطع الوحي من السماء. ويدركون أيضاً من الأمور المهمة في الدعوة: إحاطة الدعوة وحمايتها من كيد الكائدين، وبذل الجهد في خدمة أهلها ، وفي كل سبيل من شأنه نشر هذا الدين، وتبليغ الدعوة إلى العالمين .

فعلى سبيل المثال من مواقفهم المشهودة في الحرص على سلامة قائدهم ، ما ورد عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أرق^(٢) النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة» إذ سمعنا صوت السلاح، قال: «من هذا؟» قال: سعد يا رسول الله، جئت أحرسك، فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيته^(٣).

كان الرسول ﷺ يدرك أبعاد المعركة بين الحق والباطل، ويدرك خطورة الموقف، ويعلم أنه الهدف الأول من أهداف العدو، فكان على يقظة وانتباه وحذر شديد -وهكذا يجب أن

(٢) الأرق: السهر (الجوهري، الصحاح، ١٤٤٥/٤، مادة [أرق]).

(٣) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: «ليت كذا وكذا» ٣٥٠/٤ حديث

٧٢٣١. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، ١٨٧٥/٤، واللفظ لبخاري.

يكون قادة الدعوة - وخاصة في الليل حيث يختلط الظلام، ويسهل تسلل الأعداء، فالتنبي تمنى حراسة أصحابه له في الليل، مع قوة توكله -عليه الصلاة والسلام-، ولكنه سبب، وفعل الأسباب المشروعة لا ينافي التوكل على الله، ما لم يتعلق القلب بها. وبدون أمر من رسول الله ﷺ يحمل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- سلاحه ويتوجه لحراسة الرسول ﷺ، إنه الشعور من جنود الدعوة بخطورة الموقف والحرص الشديد على سلامة القائد.

وفي معركة أحد نماذج أخرى في التسابق لحماية القائد، كما علمنا أن طلحة ابن عبيدالله -رضي الله عنه- كان يدافع عن رسول الله ﷺ حتى شلت يده، كما ورد عن قيس ابن أبي حازم قال: "رأيت يد طلحة التي وقى بها رسول الله ﷺ قد شلت" (٤).

وشماس بن عثمان الذي كان يقاتل دون رسول الله ﷺ يوم أحد، فكان ﷺ لا يرمي ببصره يمينا ولا شمالاً، إلا رأى شماساً في ذلك الوجه، يذب بسيفه عنه (٥).

وفي تلك المواقف تنبيه لرجال الدعوة لحراسة قادتها، مما يجعلهم بمنجى من أيدي الأعداء، وغدر الغادرين، ويجب ألا ننسى أن ثلاثة من الخلفاء الراشدين، ذهبوا غيلة، وهم قمم في العدل والتقوى في هذا الوجود: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. وكلما كان عدل القادة وتقواهم وصلاتهم ونشاطهم في دعوتهم أكثر، كان أدعى للحراسة، لأن العدو لا يطيق وجودهم.

كانت الدعوة ابتداء سرية، يلتقي الرسول الله ﷺ بالمؤمنين، والأصدقاء المقربين، والصفوة المختارة من الصحبة الأبرار، لرعاية دوحة الإسلام، حتى ينمو عودها وتشتد ساقها.

ومثل الدعوة السرية كمثّل الجنين في بطن أمه، فإنه لا يظهر للوجود قوياً صالحاً بل لا بد له من فترة ينمو فيها جسمه، وتزداد قوته، حتى يقاوم دواعي الفناء، ويأخذ من عناصر البقاء في مجتمعه الجديد. فالدعوة كذلك، ولكن ترى، ما هو ذلك الرحم الذي احتضن

(٤) أخرجه البخاري الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر طلحة بن عبيدالله -رضي الله عنه- ٢٦/٣ حديث

٣٧٢٤. وانظر صفحة: ٣٩٢ و ٣٩٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٤٦/٣.

الجنين ورعاه، حتى ترعرع واكتملت قواه؟ إنه دار الأرقم بن أبي الأرقم! فتى من قريش، يبلغ حوالي ستة عشر عاماً. لم يكن سيداً من سادات قريش، ولم يكن صاحب مكانة اجتماعية بينهم، حتى ولم يكن شيخاً كبيراً يقدر لسنه، ومع هذا كله كانت داره هي المحضن الأول للدعوة الإسلامية ولعل ذلك يعود إلى أمور منها:

١- أن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه. فما كان يخطر ببال قريش أن يتم لقاء محمد وأصحابه في داره.

٢- أن الأرقم بن أبي الأرقم -رضي الله عنه- كان فتى عند إسلامه. فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر ببالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد صلوات الله عليه بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه، أو بيته هو نفسه -عليه الصلاة والسلام-.

٣- قبيلة الأرقم بن أبي الأرقم -رضي الله عنه- هم بنو مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم، فلو كان الأرقم معروفاً بإسلامه، فلن يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره، لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو^(٦).

أيها المستمعون الكرام ، للحديث بقية إن شاء الله لمتابعة حياة شباب صدر الإسلام في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وفي الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(٦) انظر: منير محمد الغضبان، المنهاج الحركي للسيرة النبوية، ٤٨، ٤٩.